كنقيض للاخر وعرف ذاته نفيا : أنا كل ما لا ينتمي اليه الآخر طالما يقف على أرضي ٠

لم يكن الصراع طوليا ، عرف السوط والدم والمدفعية ومر بالتخيلات والاساطير والانتربولوجيا العنصرية ايضا ٠ فاستعادت الذاكرة الافرو ـ آسيوية « الوجه الابيض » واطلقته رديفا للشر وبرودة الروح وقتامة الحيوانية ، فهو « شارب الدم » وحليف الارواح الدنسة وحليف ابليس وعدو الرحمن ٠ وأمسكت الايدولوجيا الكولونيالية انسان الصحراء والغابات والمعابد الشرقية ، فوحدت الاول مع الجمل والثاني مع القرد والثالث مع الشيطان ، اصبح الانسان الصيني شرا مرجوما ، وامسى الانسان الاسود « الزنجي » نظيرا لليل وعدوا للمسيح ، وكما انتجت الذاكرة الكولونيالية اسطورة الاله الابيض انتجت ايضا أسطورة الشيطان الاسود ، واصبح البرلوني « الطيب » ينعت الانسان السويدي « السيء » بـ « هذا السويدي الاسود » ثم يعمم القول فيصبح : « اسود مثل السويدي » (٢) ٠

دار الصراع في شرطه التاريخي : **الشرط الاستعماري** المحدد اقتصاديا بالنهب وسياسيا بالقمع وايدولوجيا بالعنصرية ، واستمر في وحدته التناقضية القائمة على ثنائية المستعمر / (٣) ٠ كل ينفي الآخر بأسلحة لا متكافئة في ديالكتيك يستدعي وجود الطرفين : وجود المستعمر (فتح الميم) في بؤسه المستمر ضرورة ، شرط أساسي لوجود المستعمر (كسر الميم) في نعيمه المستمر ٠ لكن البؤس لا يعايش الرخاء الا مكبلا وفي شروط تنتج القمع وتعيد انتاجه أبدا ٠ وفي تعايش نسيجه القمع ولحمته النهب تطور النقيضان على ارضية الشرط الاستعماري ، وعندما نقول شرطا استعماريا نقول عملية صراعية تهدم النقيضين وتخلقهما في الوقت ذاته ، يتمركز كل منهما حول ذاته وصفاته ثم يخرج محاولا استئصال الآخر وازالته وتدميره ، يصل المستعمر والمستعمر الى عالم حدوده اللون والمناجم والقمع ، يأخذ التمايز صفة الاطلاق، وينسحب المستعمر الى « اوروبيته المركزية » والآسيوي الى « آسيويته » والافريقي الى «كهفه» التاريخي الخاص ٠

لا تستند هذه المواجهة التدميرية الى اعتبارات نفسية او اختلافات أيدولوجية او لاهوتية بل الى **أساس مادي** محكوم بالنهب والتدمير والقمع ، مارسه ويمارسه الغزاة الامبرياليون في « العالم الثالث » لذلك ينبغي التمييز بين النضال الوطني التحرري الذي يعمل لتحرير ارض وحماية ثقافة وصيانة ثروات وطنية وبين مركب كره الغرباء Xenophobia ، فنحن لسنا في مجال « عنصرية تطرد اخرى » كما يذهب بعض المستشرقين الاستعماريين بل في مجال: الاستعمار وحركات التحرر الوطني (٤) ٠